امتدادات الرومانسية في الشعر المغربي المعاصر

Romanticism Extensions in Contemporary Moroccan Poetry

إعداد

ليلى بوتبغة

Leila Boutbagha

باحثة بكلية اللغات والآداب والفنون

جامعة ابن طفيل - المغرب

Doi: 10.21608/mdad.2024.390944

استلام البحث	**٢٠٢٤ / ٨/ ٩**
قبول النشر	**٢٠٢٤ /٨/ ٢٥**

بوتبغة، ليلى(٢٠٢٤). امتدادات الرومانسية في الشعر المغربي المعاصر. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٧)، ٤٩-٧٠.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

امتدادات الرومانسية في الشعر المغربي المعاصر

المستخلص:

إن التقسيم المنهجي للشعر إلى حركات أو اتجاهات شعرية ما هو إلا تقسيم إجرائي غايته تأريخية أساسا ترتبط بالتحقيب الذي فرضه التصور التقليدي لتاريخ الأدب، وهو في الوقت نفسه تعبير ذاتي عن وجهة نظر في بنينة المسار الأدبي المحتوي على نصوص مختلفة شكلا ومضمونا. فلا يمكن أن نجزم بانفصال تام بين الكلاسيكية والرومانسية، أو بعدم وجود أثر الرومانسية في شعر الحداثة. لذلك فإننا نريد أن نعتمد، ونحن نبحث في امتدادات الرومانسية في الشعر المغربي المعاصر، على شعرية تاريخية تتعالى على التحقيبات المؤقتة والمتجددة باستمرار، وتنخرط في بحث النصوص الشعرية ومقروئيتها وتاريخ قراءاتها، وبالتالي تنفعل مع موضوع اشتغالها من منطلق فعل التأويل.

من هذا المنطلق يمكن أن نقتفي أثر الرومانسية في النصوص الشعرية المحسوبة على الفترة المعاصرة، وأن نبحث عن الأثر اللغوي، من خلال المعجم والصور والدلالات والمعاني والإحالات الرمزية، وعن الأثر الموضوعاتي من خلال التيمات المعتمدة فيه .

الكلمات المفتاحية: الشعر المغربي المعاصر- الرومانسية – القلق الوجودي- الحرية.

Abstract:

The systematic division of poetry into movements or poetic trends is nothing but a procedural division whose purpose is essentially historical and linked to the periodization imposed by the traditional conception of literary history, and at the same time it is a subjective expression of a point of view in the structure of the literary path containing texts that differ in form and content. We cannot assert a complete separation between classicism and romanticism, or the absence of the influence of romanticism in

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

modern poetry. Therefore, we want to rely, as we research the extensions of romanticism in contemporary Moroccan poetry, on a historical poetics that transcends temporary and constantly renewed periods, and engages in researching poetic texts, their readability and the history of their readings, and thus interacts with the subject of its work from the point of view of the act of interpretation. From this point of view, we can trace the trace of romanticism in poetic texts attributed to the contemporary period, and search for the linguistic effect, through the lexicon, images, connotations, meanings and symbolic references, and for the thematic effect through the themes adopted in it.

Keywords: Contemporary Moroccan poetry - Romanticism - Existential anxiety - Freedom.

. . .

لعل أهم ما جاءت به الرومانسية هو الإيمان بمبدأ الزمنية، فقد كسر هذا المبدأ تباث الشكل الشعري ولغته، وتجاوز المبدأ الكلاسيكي القائل ب "ليس في الإمكان أبدع مما كان"، وكرس منطق التحول التلقائي للظاهرة الشعرية الذي يفرضه الانسياب الزمني والذي سيمكنها من أن تتخذ أشكالا جديدة كلما نضجت الشروط الجمالية والتصورية واللغوية. لذلك انتقل الشعر المغربي غير ما مرة من حال إلى حال مغيرا أشكاله ولغته وموضوعاته ووظائفه، خالقا في كل مرة جماليات خاصة ومخصوصة.

لكن ما يجب أن ننتبه له ونحن نفكر في الرومانسية في الشعر المغربي وامتداداتها في الممارسة الشعرية المعاصرة، هو أن التقسيم المنهجي للشعر إلى حركات او اتجاهات شعرية ما هو إلا تقسيم إجرائي غايته تأريخية أساسا ترتبط بالتحقيب الذي

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فرضه التصور التقليدي لتاريخ الأدب، وهو في الوقت نفسه تعبير ذاتي عن وجهة نظر في بنينة المسار الأدبي المحتوي على نصوص مختلفة شكلا ومضمونا. وإلا فهل يمكن أن نجزم بانفصال تام بين الكلاسيكية والرومانسية، أو بعدم وجود أثر الرومانسية في شعر الحداثة؟ سيكون الجواب قطعا بالنفي. لذلك فإننا نريد أن نعتمد، ونحن نبحث في وعن امتدادات الرومانسية في الشعر المغربي المعاصر، على شعرية تاريخية تتعالى على التحقيبات المؤقتة والمتجددة باستمرار، وتنخرط في بحث النصوص الشعرية ومقروئيتها وتاريخ قراءاتها، وبالتالي تنفعل مع موضوع اشتغالها من منطلق فعل التأويل.

من هذا المنطلق يمكن أن نقتفي أثر الرومانسية في النصوص الشعرية المحسوبة على الفترة المعاصرة، وأن نبحث عن الأثر اللغوي، من خلال المعجم والصور والدلالات والمعاني والإحالات الرمزية، وعن الأثر الموضوعاتي من خلال التيمات المعتمدة ...

أولا: في مفهوم الشعر المغربي المعاصر.

يذهب محمد بنيس في حديثه عن الشعر المغربي المعاصر في مؤلفه **ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقاربة بنيوية تكوينية** إلى القول" وقد انفجر النص الشعري المعاصر في المغرب من الرغبة الملحاحة في تحطيم نص شعري آخر، هو العمودي، الذي كان ولا يزال يؤدي وظيفة غير مستقلة في مجتمع تحولت بعض أسسه المادية عن وضعها القديم، وتجسد فيه الطموح إلى التغير والتحرر والابتكار. ومن ثم استوجب الخروج عن تقاليد وقوانين النص التقليدي تخريب قدسية أبدية مزعومة، من خلال استحداث نص شعري مضاد، يريد لنفسه أن يستوعب شروط واقع انخرقت أسبابه

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

القديمة، وانقطعت صلاته، بشكل أو بآخر، مع الماضي." [١]

نتبين من خلال ما قاله محمد بنيس أن الشعر المعاصر بالمغرب ينطلق أيضا من مبدأ الزمنية الذي يقضي بانتفاء شروط مولدة لنص شعري بشكل محدد في سياق وتاريخ محددين، وانبناء شروط مغايرة يولد معها نص جديد ومختلف قد يصل إلى درجة التضاد مع النصوص التي سبقته في محاولة لقطع الصلة مع الماضي الشعري المنته زمنيا. فطبيعة الشعر وماهيته تقتضي التحول والتوجه إلى الأمام، والبحث في اللحظة الراهنة وفي مستقبلها لا الرجوع إلى الوراء والاستكانة إلى شكل مريح ومألوف يسهل تلقيه. بمعنى أن الدخول في المعاصرة الشعرية بالمغرب كان عن وعي بضرورة التحول عن التابث وإزالة لطابع الكمال على الشعر المسمى تقليديا، وتجريب الأشكال الممكنة جميعها، وخوض مغامرة الكشف عن الدلالات الجديدة للموضوعات المتداولة والمستجدة.

ثانيا: البدايات وأشكالها.

بدأت الحركة الشعرية المعاصرة بالمغرب بعد الاستقلال وتحديدا بعد ١٩٥٧، وهي بداية متأخرة نسبيا بالقياس إلى المشرق الذي تحركت فيه رياح المعاصرة الشعرية بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة وانتظمت المحاولات الفردية على شكل حركة لها تصور ومنطق خاص، وشكل هذا السبق الزمني فرصة للشعراء المغاربة لمعاينة التجربة ومحاولة فهمها واستيعابها ثم استدماجها والبحث في أسباب انبثاقها مغربيا. ويعتبر عبد الله كنون أنه لا وجود لقضية تأثير مشارقة في مغاربة وإنما

[١] محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب – مقاربة بنيوية تكوينية، الطبعة الثالثة، دار توبقال للنشر، ٢٠١٤، ص: ٣٧.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

"القضية لا تعدو أن تكون تجاوبا مع ما حدث في الشرق العربي من التخفف من قيود العروض القديم."[٢]

ورغم كون الأمر يقتصر عند حدود التجاوب والتفاعل، إلا أن التأخر في ظهور الشعر المعاصر بالمغرب خلق إحساسا بالذنب تجاه الشعراء المشارقة، وجعل القصائد المشرقية تكتسي أهمية كبرى حتى وإن لم تكن ترقى لمستوى الشعر الحق، كما كرس سلوكا نقديا قائما على الرجوع إلى القصيدة المشرقية-الأصل عند أي عمل تحليلي لقصيدة مغربية معاصرة." تعمقت عقدة الذنب يوما بعد يوم، وأفرزت وضعية خطيرة جدا، هي الاحتكام الدائم، عند تحليل قصيدة من القصائد المغربية المعاصرة، إلى القصيدة-الأصل، والقصيدة-النموذج، أي القصيدة المعاصرة في المشرق العربي. وهذا ما نلاحظه بقوة في جل الكتابات النقدية، وهو القانون نفسه المسيطر على البيانات الشعرية". [٣]

ويبدو أن مسألة السبق الشعري والتأثر أو التجاوب ليست مهمة بالقياس إلى وجود شعر مغربي معاصر له خصوصياته وعوالمه التي يبنيها الشعراء بمحاورة جغرافياتهم، وأسئلة الوجود التي تؤرقهم، وعلاقاتهم بذواتهم وبغيرهم، وبالشعر نفسه. ثم إن الأهم في هذا السياق هو وجود وعي حقيقي بضرورة التغيير الشعري وجدوى التحول إيمانا بمقتضيات التاريخ وحركيته" إن الشعراء المغاربة، عندما تبنوا القصيدة المعاصرة، برهنوا مرة أخرى على أن التجديد الذي دعا إليه إخوانهم في المشرق ليس حركة لقيطة، بل هو استجابة تاريخية(..) وهو لذلك يعبر عن وعي تاريخي متقدم،

[٢] عبد الله كنون، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، الطبعة الرابعة، دار الثقافة، ١٩٨٤، ص: ١٧٨.
[٣] محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص: ٢٢٤.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

دفعت إلى وجوده ظروف لا يعيها المحافظون." [٤]

ثالثا: الرومانسية وامتداداتها.

هل انتهت الرومانسية بظهور بوادر القطيعة مع الكلاسيكيات الشعرية، خاصة أنها رغم دعوتها للتجديد بقيت وفية للتصور التقليدي في النظم الشعري في بعض جوانبه؟ هل كان الشعر المعاصر خاصة في بداياته يتنفس من داخل الرؤية الرومانسية، أم أنه اعتبرها إرثا وجب تجاوزه وتخطيه؟ هل يأخذ الأمر شكل صراع بين القديم والجديد أم أن القضية مسألة أصالة شعرية كما يشير إلى ذلك الدكتور عباس الجراري في مقال له حول قضية الشعر؟[٥]

ليس الغرض من طرح هذه الأسئلة البحث عن جواب مباشر أحادي الاتجاه، وإنما الدفع إلى إعادة التفكير في قضية اعتبرها النقد مدة طويلة محسومة ومنتهية: النظر إلى الحركية الشعرية بما هي حركة انفصال لا اتصال، بما هي قطع لا قطيعة، بما هي رفض لا حوار، بأنها منتهية في حدود زمنية وجغرافية، لا ممتدة ومتسربة بشكل ظاهر أو خفي.

سنحاول أن نبين، إذن، أن الشعر المغربي المعاصر حمل أثر الرومانسية داخله خاصة على مستوى الرؤية للذات وللوجود، أي وجود النفس الرومانسي في طريقة تمثل الذات قبل أن تتسع هذه الرؤية وتأخذ أبعادا أخرى. وسنظهر أن الشعر المعاصر كان في كل مرة يفكر في أن يخط له بداية يعود إلى الرومانسية، كما لو أن الثمرة تحن إلى البذرة: بذرة الانتفاض الأولى على التباث الشعري." إن الرومانسية بركة من

[٤] نفسه، ص: ٣٢٥.

[٥] عباس الجراري، صفحات دراسية من القديم والحديث، الطبعة ١، دار الثقافة، ١٩٦٧، ص: ١٧٥.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

السماء أو من الشيطان، وقد تركت فينا جروحا لن تندمل أبدا.." [٦]. ورغم ثورة الشعراء المعاصرين على الرومانسية إلا أنهم لم يتخلصوا منها ومن ظلالها التي امتدت في وعيهم وفي نصوصهم ورؤاهم، وفي اهتمامهم باللغة، وإيمانهم بقوة الكلمة وقدرتها على بناء عوالم جديدة للمعنى وللفكر وللعاطفة، وفي إعادة ترتيب العلاقة مع أشياء العالم خاصة العناصر الممتدة في الطبيعة، وبناء صور استعارية جديدة خارجة عما تمليه الذاكرة الشعرية التقليدية.

رابعا: الشعر المغربي بين الرومانسية والمعاصرة.

أبدع مجموعة من الشعراء المغاربة بداية الستينات وخلال السبعينات وما بعدها قصائد دشنوا بها العهد الشعري الجديد ومنهم: أحمد المجاطي، ومحمد الخمار الكنوني، وعبد الكريم الطبال، ومحمد الطوبي .. وهي قصائد تميزت شكلا بالخروج عن البناء العمودي الذي بقيت الحركة الرومانسية وفية له في وقت ما، ومضمونا بطرق قضايا تساير الوضع الذاتي الوجودي والتحولات الاجتماعية والسياسية التي عرفها المغرب بعد الاستقلال " وسط هذا الواقع الكثيف وتحت ظلاله وسحبه الداكنة، التي ما فتئت تهدد بالبرق والرعد في كل لحظة وحين، كان ظهور الشاعر المغربي الحديث كمترجم أمين ومعبر صادق عن المشاعر الإنسانية المتأججة في نفوس الجماهير المناضلة في كل الجبهات، وليعكس فنيا وشعريا تطلعاتها وأحلامها في التحرر والسيادة، وذلك من خلال تأرجحها بين اليأس والأمل أحيانا، وهكذا فقد كان الطابع البارز والغالب على كل الأعمال الأصيلة التي أبدعها شعراؤنا الحديثون، هو تلك النغمة الحزينة المفعمة

[٦] عبد الغفار مكاوي، الشعر الحديث من بودلير إلى العصر الحاضر، الجزء الأول –الدراسة–الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢، ص: ٥٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بالأسى والأنين، ومرد ذلك ومصدره يكمنان في جوهر تلك الخيبة المريرة التي مني بها الإنسان المغربي المعاصر، كنتيجة طبيعية للأحداث المفجعة التي طبعت سنوات ما بعد الاستقلال، والتي اتضحت معطياتها بشكل حاد منذ نهاية السبعينات حتى أيامنا هذه."[٧]

ويبدو من خلال هذا القول أن ملامح عامة طبعت ها الشعر الجديد وشكلت أساس رؤيته؛ الذات الإنسانية، واللغة سؤالا جماليا، والقلق الوجودي، والإحساس بالأسى، والشعور بالحرية والتوق إليها..

أ-الحضور المستمر للذات: بين العنوان والقصيدة.

تحضر الذات باستمرار في القصائد المعاصرة متشبعة بروح الأسى والألم كما في القصائد الرومانسية: الذات المنكسرة التي تبتعد عن العالم وتغوص في ذاتها بحثا عن جوهرها، إما أن تستمر في اجتراح الألم، وإما أن تنتفض عليه، إما أن يصبح الحزن لديها عقيدة أو مذهبا في الوجود، وإما أن تقاوم ألم ارتطامها بالآخر، وبالفراغ، وبظلها وبعزلتها وبخيباتها. [٨] (المناهل بتصرف العدد ٩٥-٩٦)."إن شعرية النص، لم تعد تقيم في منافي نصية لها أوضاعها وقوانينها المؤسسة، أعني، في بناء نظام القصيدة بما هي "تاريخ مثقل بآثار العابرين، وأولئك الذين أرسوا وأقاموا حجر مسكنهم على منعرجات متخيلهم، ونبضات إيقاعهم التي هي خفق خطاهم، ونداءات وترهم. فشعرية النص، هنا، هي إنصات لنبض الذات وهي توقع نموذجها، وتفيض عن حدود" اللفظ والمعنى"

[٧] محمد المعطي القرقوري، الشعر المغربي الحديث إمكاناته وآفاقه، مجلة أقلام، العدد ٦، يوليو ١٩٧٣، ص: ١٠٩.

[٨] مصطفى الشليح، –ذلك الشاعر– الناقد، مجلة المناهل، عدد ٩٥– ٩٦، سنة ٣٣، يونيو ٢٠١٣، ص: ٣٥.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

لتتكاثر وتتشظى وتبلور في سياقات لا يشرط النص وجوده بواحديتها. فهو بلور متعدد الرؤوس والأضلاع، كثيف، لأنه مرآة لالتباسات الذات ولتشظياتها." (صلاح بوسريف المغايرة والاختلاف في الشعر المغربي المعاصر. [٩]

توصل صلاح بوسريف إلى اقتحام الذات الشعر المعاصر من خلال اشتغاله على أحد عشر ديوانا من بينها: ثريا ماجدولين-أوراق الرماد، محمد الصابر-ولع الأرض، محمد عرش-أنثى المسافات، أحمد بركات-دفاتر الخسران... وقد بدأ هؤلاء الشعراء وغيرهم النشر منذ السبعينات واستمروا في تتبع مسارات الذات واقتفاء أثرها على خرائطها انتصارا لها ولمركزيتها في العملية الإبداعية وفي الرؤية للوجود.

كما أن هذا التعلق بالذات يظهر من خلال العناوين التي اختارها بعض الشعراء لقصائدهم كما رصد ذلك أحمد زنيبر في إحدى مقالاته: "بملء الصوت" لإدريس الملياني، و" يد لا تسمعني" لنجيب خذاري، و" لن أوبخ أخطائي" لمحمد بوجبيري، و"مدين للصدفة" لجمال الموساوي، و" على انفراد" لحسن نجمي، و"ما زال في القلب شيء يستحق الانتباه" لصلاح الوديع.[١٠]

تختزل هذه العناوين العلاقة التي تربط الشاعر المعاصر بالذات-الأنا المفردة والمتعددة، وهي علاقة تجعلنا ننظر للقصيدة بعيون الذات التي تعيش تجربتها الخاصة، الذات الفاعلة والمنفعلة، كما تصورتها الرومانسية، تلك التي تملك حرية بناء التصور

[٩] صلاح بوسريف، المغايرة والاختلاف في الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٨، ص: ٦- ٧.

[١٠] أحمد زنبير، الذاتي والموضوعاتي في القصيدة المغربية الحديثة، مجلة المناهل، العدد ٩٥- ٩٦، سنة ٣٣، يونيو ٢٠١٣، ص: ٧٤.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

واختيار اللغة ورسم الصور بعيدا عن الجاهزية اللغوية والصورية والموضوعية." وهكذا يمكن أن نمضي مع باقي العناوين المقترحة، إذ تحيل مجتمعة إلى موضوع ما، مرتبط ضرورة بالذات الشاعرة، في علاقتها بذاتها من ناحية، وبما حولها من ناحية ثانية. وهو ما يشكل، في النهاية، ذلك الحضور الجلي للبعدين الذاتي والموضوعاتي، في القصيدة المغربية الحديثة."[١١]

ب-اللغة سؤالا جماليا.

"أنا لغتي"[١٢]؛ تنبثق اللغة الشعرية المعاصرة من الذات لا من خارجها، فهي لا توجد في القواميس، وليست سجلا جاهزا ولا نهائيا، إنها تتشكل بتشكل الذات الشاعرة: لغة تشبه صاحبها، يظهر فيها ويتجلى من خلال صورها التي تبنى جوانيا. لقد عمل الشعر المغربي المعاصر على بناء لغة جديدة تعبر عن الثورة المعجمية والاستعارية على الخزان اللغوي التراثي المتسم بالكمال في نظر الكلاسيكيين، ولم يكن هذا ممكنا لولا تثوير اللغة الذي قام به الرومانسيون وامتد إلى الشعر الجديد. لقد انشغل الرومانسيون بإعادة الحرية للغة، وبتخليصها من الاستهلاك الآلي، ومن الأنماط النهائية والصيغ المحفوظة، ومن دفعها لقول أشياء جديدة: قول ما لم يقل وما لا يقال. لذلك جاءت اللغة الشعرية المعاصرة، وهي تستثمر في تصور الرومانسيين حول اللغة، مختلفة ومنتفضة وغامضة وملغزة وموحية.

جاءت اللغة الشعرية المعاصرة للتحرر من سلطة المتعاليات التي سكنتها تاريخيا؛ الدين والسلطة والقبيلة والتراث الشعري، ولتنسف نفسها من الدواخل، وتفكيك

[١١] نفسه، ص: ٧٥.

[١٢] حاتم الزهراني، لا بد من نثر لينتصر الرسول "النبي والشاعر النثر والشعر"، مجلة حكمة، ٨ نونبر ٢٠١٨.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

النسق التي تنفست داخله وإعادة بناء نسق مغاير يؤمن بخصوصية الرؤية وبأولوية التجربة وحساسية الاختبار اليومي. إن الاستعارات ليست نهائية، ولا التراكيب تابثة، والتوليفات هي مؤقتة وتستجيب لشرط زمني حاسم، إن اللغة تتبدل وتتغير، تبني وتهدم، تحايث التحول الذي يلحق الأنسان. إنها تترنح بقدر ما تترنح الذات. إنها تجرب كل الممكنات وحتى المستحيلات تعيد مراجعة علاقتها بالزمنية، وتبني إيقاعا يحمل أثر الذات والتاريخ معا. وتبحث في إمكانية تبني تصور جديد للمكان، فالمكان ليس حيزا خارجيا؛ المكان هو هندسة النص، الامتلاء والفراغات، السواد والبياض، الأثر الظاهر والغابر. نتحدث هنا عن لغة البياض شيء سماه رولان بارت عندما اشتغل على أعمال ألبير كامي باللغة البيضاء. التي يشكلها ويلونها القارئ اليقظ من خلال استثمار خبراته، وقدرته على تذوق اللغة وتوليفاتها.

يقول محمد المجاطي في ديوانه الفروسية: [١٣]

تلبسني الأشياء

يرحل النهار

تلبسني شوارع المدينة

أسكن قرارة الكأس

أحيل شبحي مرايا

أرقص في مملكة العرايا...

[١٣] محمد المجاطي، ديوان الفروسية، الطبعة ٢، شركة النشر والتوزيع المدارس، ٢٠٠١، ص: ٥٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

....

تسعفني الكأس

ولا تسعفني العبارة.

اللغـة فـي هـذه الأسـطر الشـعرية صـنيعة للـذات الشـعرية، لا مسـافة بـين اللغـة وصانعتها، تكاد تتماهى معها حتى تبدو الصور المبنية خاصة بالشاعر، لم تكن قبله ولن تكون بعده. وهي لغة تحضر جماليا من خلال التوليف المفارق بين المفردات في توظيف دال للأنسنة (وهي استعارة وظفت بشكل كبير في الشعر الرومانسي)؛ **تلبسني الأشياء، يرحل النهار، تلبسني شوارع المدينة.** ومن خلال بناء استعارات تتسع فيها مسافة التوتر بين المستعار منه والمستعار له فتتحقق فجوة دلالية تخلق القلق والسؤال وهما الغاية من الشعر المعاصر الذي لم يعد يتغيا الفهم وإنما الإيحاء؛ **أسكن قرارة الكأس، أحيل شبحي مرايا.** وهو الأمر الذي نادت به الرومانسية على يد مؤسسيها في الغرب ومتلقفيها في الشرق " القصيدة إذن توحي بالعديد من الظلال والذبذبات والاشعاعات، إنها لا تحب أن تفهم من خلال فكرة ثابتة غليظة بل تريد أن ترف وتتردد".[١٤] الشعر الحديث ص ٢٠٢. ثم إنها لغة غير مسعفة، عصية ومستعصية، متمردة على صاحبها، تحرمه من أوصافها وصورها ليعبر عن التجربة، لغة مكثفة تشبه لغة المتصوفة" كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة."؛ إنها لغة لا تقدم نفسها بسهولة، لا تستسلم للمعاني المعتادة، ولا للدلالات القائمة، ولا للصور الجاهزة، بل إنها

[١٤] عبد النقار المكاري، الشعر الحديث من بودلير إلى العصر الحاضر، ص: ٢٠٢.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

"لغة شعرية مفارقة ومتجاوزة لما هو كائن في القصيدة المغربية."[١٥]

ج- بين الإحساس بالأسى والقلق الوجودي.

لازمت النغمة اليائسة القصائد الرومانسية، وارتبطت بطريقة رؤية الشاعر لذاته وللوجود؛ هذه الذات المثقلة بالهموم الوجودية الغارقة في أرق السؤال المستمر الذي تنفلت أجوبته. وهو أسى له ما يفسره من تجارب حياتية اتسمت بالغربة والوحدة والوحشة طبعت أثرها في نفس الشاعر ووجدانه، والتبست بكيانه، فأصبح الأسى مذهبا في الوجود وطريقة لرؤية العالم.

تمتد نزعة اليأس والأسى في الشعر المغربي المعاصر وإن بشكل مختلف من حيث ارتباطه بنوع جديد من التجارب التي يمتزج فيها الذاتي الفردي بالجمعي، وهي خبرات مست الهوية والوجود العربيين بصفة عامة، وخلقت حالة من الاغتراب صاحبتها تحولات في المشاعر والأحاسيس.

تقول الشاعرة حياة نخلي في سيمفونيات:[١٦]

لا لست أنا

لا أشبهني

ولا أشبه ما مضى مني

ولا أشبه ما تبقى..

[١٥] صالح البريني، الشعر المغربي المعاصر، من المغامرة إلى الكتابة- رسائل الشعر، العدد ٥، ٢٠١٤، ص: ٦٩-٧٤.

[١٦] حياة نخلي، ديوان سيمونيات، الجزء الأول، الطبعة ١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ٢٠١١.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

غريبة أنا وظنوني

.....

احترقت أنا بأناملك

كسيجارة رخيصة

ولم يبق منك بداخلي

سوى الرماد

.....

أسيرة هي لواعجي

ثائرة حائرة

تسبح في يم مجهول

وهدير بلا ماء.

"والمطلع على تجربة لشاعرة هذه سيلاحظ أن الطابع الرومانسي قد أطر الجانب الرؤيوي للقصائد، فالذات حاضرة بقوة،.. هذه الذات المثقلة بالعبء الوجودي الذي يميز عادة الشاعر الرومانسي، فيجعله ذلك، شاء أم أبى، ينحو نحو المأساة وكأنه يحمل صخرة سيزيف الشهيرة ويدحرجها، وقد دببتها أشواك الواقع، في مرتفعات القلب وشعابه، جاعلا من كل مناسبة فرصة للشكوى و الأنين.. وتشتد العواصف الهوجاء، فتفقد بوصلة الذات في عالم معاد، يحاصرها من كل جانب، فلا يسمح لها باستنشاق هواء نظيف، يعيد للذات بعض وهجها وتوازنها الداخلي كي تستأنف رحلتها من جديد

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في خضم أمواج متلاطمة."[١٧]

يتطور الإحساس بالأسى إلى قلق وجودي يتم استثماره لغويا للكشف عن مسالك الخلاص وسبل الوصول إلى الحقيقة. وهنا يبدو نضح الحزن والأسى في الشعر المغربي المعاصر الذي يسعى إلى خلق عوالم جديدة تعوض العالم البئيس الراهن في محاولة لتأسيس شعرية للتجاوز وتأسيس راهن مغاير جوهره الإبداع الحر اللامحدود.

د- الرغبة في الحرية.

مالت القصيدة المعاصرة إلى الحرية منذ البداية، وأصرت على التحرر من القوالب الشعرية الثابتة، وعمدت إلى تحرير الذات من كل ما يقيدها، راسمة عوالم للحرية من خلال اللغة والتيمات والرؤية والإيقاع. فجوهر الفن الحرية، وغايته الحرية، والطريق التي يسلكها من جوهره إلى غايته تتخللها عمليات تحرر وتحرير مستمرة. ولعل أول من انتبه وأدرك الحاجة إلى التحرر هم الرومانسيون، فقد كرس السياق الفلسفي الغربي الخاص بفلسفة الأنوار، مهد الرومانسية، فكرة الحرية وتشرب بها الشعراء والمفكرون آنذاك وفيما بعد كذلك.

وامتدت هذه القيمة إلى الشعر الجديد فجاء ثائرا على الشكل التقليدي العمودي، وعلى الإيقاع الخليلي، وعلى الصور القائمة على التشبيه، وعلى الموضوعات المرتبطة بخارج الذات الشاعرة المغرقة في الوصف، وعمل على تحرير الشعر والشاعر من مفهوم ضيق يختزلهما في كونهما صوت الجماعة، وشهادة على تاريخها. " فالشعر يقاوم عبر تاريخه الطويل، من أجل الحرية، وحرية اشعر لا تنتهي، لأن

[١٧] كاتب مغربي، الملمح الرومانسي في السيمفونيات المغربية، حياة نخلي القدس العربي، ٢٥ يوليو ٢٠١٧.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الشعر هو نشيد الإنسانية الذي أرخ ميلادها."[١٨]

يقول محمد الأشعري في قصيدة **لوعة الحجر**[١٩]: مجلة الجديد السبت فاتح أبريل٢٠١٧:

عندما يباغتني نبيذ تلك الليلة البعيدة

هل كان عبورا

ذلك الشذى المحروق

لأعشاب الفجر

ومن كان يمشي على الجسر

عاريا

وشعره في الريح

أنت أم شجر الحور

أم ورقة بيضا

هربت مني كلماتي؟

ما أخف تلك الورقة.

أراها متحررة من لغة ثقيلة تتربص بها

[١٨] محمد الجامعي، الشعر والحرية في التجربة الشعرية العربية، البيان، ٦ فبراير ٢٠١٠.

[١٩] محمد الأشعري، لوعة الحجر، مجلة الجديد، السبت فاتح أبريل ٢٠١٧.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ترقص بين الأشجار

كأنها تدعوني

للتخلص من كل أبجدية

عندما أراك منحوتة في الإفاقة الأولى

ترفضين الخروج من قطن اللحظات

التي ماتت لتوها

كنت سأكتب عندئذ:

"إنك تشبهين المرأة الزرقاء في لوحة بيكاسو"

.....

ستشرق الشمس مرة

أخرى في وقتها

على نافذة

بقيت مفتوحة

بعد سقوط المحارب الأبكم.

تعلن القصيدة تحررها من خلال اللغة التي بقدر ما تبدو مألوفة اعتيادية، فإنها تنسج علاقات ومزية جديدة تتحدد معها وظيفة جديدة للاستعارة، وظيفة جمالية وتأثيرية

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تـدخل المتلقـي فـي طقـوس الكتابـة الشـعرية، وتشـركه فـي تجربـة الشـاعر الروحيـة والأنطولوجيـة. ومـن خـلال التبئيـر علـى أفعـال الـذات التـي تحمـل قصـدية واختيـارا: الشاعر يختار ما يريد؛ الهروب والرؤية والكتابة. الاختيار المرافق للإحساس بالحرية التي تسري على ما يؤثث عوالمه: الورقة المتحررة الراقصة والمرأة الرافضة. كما تظهر الحرية في استشراف المستقبل المليء بالأمل الذي ستشرق فيه وسترى من نافذة مفتوحة تحيل على اتساع الأفق ورحابة الواقع.

عود على بدء.

حاولنا من خلال هذا العرض أن ندافع عن فكرة التفكير في تصور جديد لتاريخ الأدب يعتمد الجماليات المرتبطة بتلقي النصوص الأدبية قراءة وإقراء، ولا ينظر إلى الفاعلية الإبداعية نظرة انفصال. ومنه فإننا وقفنا عند امتداد الرومانسية فكرا وتصورا ولغة وجماليات في الشعر المغربي المعاصر، وتبينا كيف كان حضور الذات الرومانسية، التي تتعالى على التحديد والتقنين، وترفض الاختزال والتنميط، قويا ومكثفا في الشعر الجديد؛ لأن الذات الرومانسية ممتدة ومتقلبة ولانهائية كما يقول محمد بنيس[٢٠]، ولأن أساس العمل الشعري هو الذات صانعته وصنيعته في الآن نفسه، وتتبعنا حضور الحس الرومانسي المرتبط بالأسى والحزن من جهة، والأمل والحرية والتحرر من جهة ثانية في الكتابة الشعرية الرافضة للانكماش تحت نموذج شعري قار.

واستنتجنا أن الرومانسية هي من فتح الباب للتجديد، والمغامرة، والكشف. هي من

[٢٠] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، الجزء ٢، الرومانسية – دار توبقال للنشر، البيضاء، الطبعة ١، ١٩٩٠، ص: ٢٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أعلن موت التقليد والسقوط والانتظار، وأسس قاعدة للتجاوز[٢١]، ورفض الشعر شهادة ووثيقة دالة على مرجع سياسي واجتماعي.

وأنها من سن سنة الخلق والإبداع والإيمان بالزمنية، وتبني الخيال والشاعرية والتركيز على الإنسان وعاطفته وبناء طرائق جديدة في الكتابة تحطم كل المتعاليات في سبيل الحرية.

وهي بذلك من أعطى دفعة قوية وحقيقية للشعراء المعاصرين لإكمال مشوراها وتغيير مفهوم الشعر الذي أصبح أبا حقيقيا للثورة وابنا عاقا للقواعد والأصول كما يقول الشاعر نزار قباني، وهو بذلك يتجدد كما يتجدد الكائن الحي، لا معايير تابثة لحياته، يخترقه الحدس والسحر وكثير من الحلم.

[٢١] محمد بنيس، بيان الكتابة، الثقافة الجديدة، العدد ١٩، السنة الخامسة، ١٩٨١.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المصادر والمراجع:

- أحمد زنبير، الذاتي والموضوعاتي في القصيدة المغربية الحديثة، مجلة المناهل، العدد ٩٥- ٩٦، سنة ٣٣، يونيو ٢٠١٣.
- حاتم الزهراني، لا بد من نثر لينتصر الرسول "النبي والشاعر النثر والشعر"، مجلة حكمة، ٨ نونبر ٢٠١٨.
- حياة نخلي، ديوان سيمونيات، الجزء الأول، الطبعة ١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ٢٠١١.
- صالح البريني، الشعر المغربي المعاصر، من المغامرة إلى الكتابة- رسائل الشعر، العدد ٥، ٢٠١٤.
- صلاح بوسريف، المغايرة والاختلاف في الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٨
- عباس الجراري، صفحات دراسية من القديم والحديث، الطبعة ١، دار الثقافة، ١٩٦٧.
- عبد الغفار مكاوي، الشعر الحديث من بودلير إلى العصر الحاضر، الجزء الأول - الدراسة- الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢.
- عبد الله كنون، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، الطبعة الرابعة، دار الثقافة، ١٩٨٤.
- محمد الأشعري، لوعة الحجر، مجلة الجديد، السبت فاتح أبريل ٢٠١٧.
- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدلاتها، الجزء ٢، الرومانسية – دار توبقال للنشر، البيضاء، الطبعة ١، ١٩٩٠.
- محمد بنيس، بيان الكتابة، الثقافة الجديدة، العدد ١٩، السنة الخامسة، ١٩٨١.
- محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب – مقاربة بنيوية تكوينية، الطبعة الثالثة، دار توبقال للنشر، ٢٠١٤.
- محمد الجامعي، الشعر والحرية في التجربة الشعرية العربية، البيان، ٦ فبراير ٢٠١٠.
- محمد المجاطي، ديوان الفروسية، الطبعة ٢، شركة النشر والتوزيع المدارس، ٢٠٠١.
- محمد المعطي القرقوري، الشعر المغربي الحديث إمكاناته وآفاقه، مجلة أقلام، العدد ٦، يوليو ١٩٧٣.
- مصطفى الشليح، -ذلك الشاعر- الناقد، مجلة المناهل، عدد ٩٥- ٩٦، سنة ٣٣، يونيو ٢٠١٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898